ملاحظات

على مقال « المعزّ بن باديس »

قرأت محاضرة العلاّمة الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندى المنشورة فى مجلتكم الزاهرة[١] عن المعزّ بن باديس الصنهاجي والفاطميين فأعجبت باسلوبها الرائق ولغتها الفصحى الاّ انى لاحظت أن بعض الأعلام قد اعتورها التحريف كما أنّ بعض الحقائق التاريخية قد أصابها رشاشة من التغيير فأحببت ان ابعث اليكم بملاحظاتي القاصرة على ذلك :

١ : قال الاستاذ فى صفحة ٩٢ « ان المعزّ احرق بنود المستنصر ومحا اسمه من الطُرَر والسكّة » ولم يأتِ ذكر للطرر فيما قرأناه الى الآن من كتب التاريخ بل ان الذى ذُكر مقروناً بالسكّة هو الطراز وان تقارب معناهما لغةً ولكن موضوعنا موضوع اصطلاح

٢ : قال فى ص ٩٤ « ان الوزير الحسن البازورى » بالباء الموحدة والصواب البازورى نسبة الى قرية يازور من قرى الرملة بفلسطين وقد ذكره ابن خلدون مرة (البارزى)[٢] وأخرى (النازورى)[٣] وكلاهما خطأ

٣ : وفى ص ٩٤ أيضاً انه لا يجد وجهاً لقطع الخطبة فى سنة ٤٤٣ هـ كما نقله ابن خلكان فى ترجمة المستنصر بالله العبيدى ويرجّح ان يكون ذلك قد تم سنة ٤٤٠ كما قاله ابن خلدون وابن ناجي أو سنة ٤٣٥ كما اتفق عليه رجال التاريخ فى القيروان وابن الاثير الذي ذكر الحادث فى عداد حوادث ٤٣٥ و ٤٤٠ وقد زاد المحاضر على ذلك فى الحاشية ان عبارة ابن خلكان عن قطع خطبة الفاطميين

---

(١) الزهراء م ١ ج ٢ (٢) ابن خلدون ج ٣ ص ٥٥
(٣) ابن خلدون ج ٣ ص ٦٢ و ٦٣

فى الحرمين الشريفين تُوهم بوقوع ذلك سنة ٤١٩

والذي نعرفه من أمر الخلاف بين المعزّ والفاطميين انه لم ينجم وتستحكم حلقاته الا بعد سنة ٤٤٢ لما ولي الوزارة الحسن اليازوري واخذ المعزّ ينتقص من قدره فيما يكتبه له وقد روى لنا ذلك ابن منجب الصيرفى المتوفى سنة ٥٤٢ بتفصيل واف فقال في ترجمة اليازوري الذي وزر سنة ٤٤٢ ما يلي [١] :

« ووفاه ملوك الاطراف فى المكاتبة حقه من الرياسة ما خلا معز بن باديس الصنهاجي فأنه قصّر به فى المكاتبة عما كان يكاتب به من تقدمه من الوزراء فكان يكاتب كلاًّ منهم (بعبدِهِ) فجعل يكاتبه بصنيعته فاستدعى نائبه وعتبَهُ عندهُ عتباً جميلا فكاتبه النائب فما رجع فتوصّل اليازوري الى أخذ سكينةٍ من دواته ودعى النائب فقال له قد تلطّفنا فى اخذ السكين ولو شئنا لتلطفنا فى ذبحه بها ودفعها اليه فانفذها وكتب بذلك فأطلق لسانه فيه فدسّ اليه من اخذ نعله فلمّا وصلت احضر النائب واعلمه ما ينتهي اليه من جهلهِ وقال اكتب الى هذا البربري الاحمق وقُل له : ان عقلت واحسنت ادبك والا جعلنا تأديبك بهذهِ فكتب اليه فجرى على عادته فى هجر القول فبعث الى زغبة ورياح خلعاً سنية وانعاماً كثيراً وعقد بينهما صلحاً وحملها على منابذتهِ وابلحها ديارهُ فضيقوا خناقه الى ان اشرف على التلاف واعمل الحيلة حتى تخلص من القيروان ووصل الى المهدية واسلم حرمه وداره وغلمانه فقتل الرجال وسبى النسوان ونهب ما كان فى داره ووصل كثير من المنهوب من الاسلحة والعدد والخيام الى المعزية القاهرة » اه

وقد أيّد هذا القول وأكده ابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧ فى حوادث سنة ٤٤٣ فقال [٢] :

(١) الاشارة الى من نال الوزارة ص ٤٢ (٢) اخبار مصر ص ٥

« فيها أظهر المعزّ بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية الخلاف على المستنصر وسيّر رسولا الى بغداد ليقيم الدّعوة العباسية واستدعى الشريف فأجيب إلى ذلك وجُهِّزَ اليه على يد رسول يُعرف بأبي غالب الشيرازي عهدٌ بالولاية ولواء أسود وخلعة فمرّ ببلاد الروم ليعدّي منها إلى افريقية فقبض عليه صاحب الروم وشيّعه للمستنصر فدخل على جملٍ وهو مجرّس وأحرق العهد واللواء والهدية في حُفرة بين القصرين وكان القادر قد فعل مع الظاهر والد المستنصر مثل ذلك بالخلعة التي سيّرها على يد رسوله محمد بن محمود سُبكتكين ثم بعد ذلك أعاد المستنصر الرسول لصاحب قسطنطينيه . وكان سبب عصيان ابن باديس تقصيره في المكاتبة للوزير اليازوري فسيّر اليه وتلطّف به أن يكاتبه بما جرت العادة به الخ . »

نحن لا ننكر ادعاء بعض المؤرخين بأن المعزّ قد خلع طاعة الفاطميين وناوأهم العداء منذ سنة ٤٣٥ فقد روى لنا ذلك ابن الاثير [1] المتوفى سنة ٦٣٠ ونقل مثله صديقنا العلاّمة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب التونسي [2] عن مؤرخي القيروان ولا نستبعد أن يكون قد قطع خطبتهم من على المنابر وخطب للعباسيين في سنة ٤٤٠ ولكنا نستنكر وجود نائب عنه في عاصمة الفاطميين واستمراره على مراسلة وزيرهم في حدود سنة ٤٤٣ وبقاء الصلات السياسية بين المملكتين دون أن يمكر صفوها معكر مع وجود تلك الاعمال التي لا يمكن للفاطميين أن يغضوا الطرف عنها وهي ترمي الى استئصال شأفتهم من مهد ظهورهم . ولذلك نرجّح مانقله ابن خلكان عن قطع الخطبة في السنة التي دارت فيها رحى الحرب بين المعزّ وخصومه . وأنت ترى ان ابن خلكان لم ينفرد بهذا الادعاء بل سبقه اليه ابن الصيرفي وابن ميسر وهما من مؤرخي مصر (وصاحب البيت أدرى بالذي فيه)

(١) كامل التواريخ ج ٩ ص ١٨٠

(٢) بساط العتيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ص ٤٤

أما قوله عن التوهم فى عبارة ابن خلكان بشأن قطع الخطبة فى الحرمين الشريفين وذكر اسم المقتدى فقد علق عليها بما عبارته [1] « وقوله وفى سنة تسع أي بعد الستين والسبعين لان المقتدي كان فى تلك المدة . قاله نصر » والبون بين القولين شاسع .

٤ : قال الاستاذ فى ص ٩٣ إن الحاكم المتوفّد للمعز كان قد تُوُفى وخلفه المستنصر مع أن الذي خَلَف الحاكم هو ابنه الظاهر لاعزاز دين الله وقد أقام بالخلافة من سنة ٤١١ الى ٤٢٧ وفيها توفى فاستُخلف بعده المستنصر

هذا ما أردنا تعليقه على أقوال الاستاذ الهندى ولنا كلمة نعلق بها على ماذكره الاستاذ التونسى فقد قال ان الوزير الذى دبر مكيدة الانتقام من المعز هو أحمد ابن علي الجرجائى (وصوابه الجرجرائى) وزير المنتصر بالله (وصوابه المستنصر بالله) عند مابلغ الامر مصر بوصول تقليد الاستقلال من الخليفة العباسى الى المعز سنة ٤٣٩ فى حين ان الجرجرائى كان قد توفى سنة ٤٣٦ أي قبل حادثة الاستقلال بثلاث سنين

فيتضح مما مرّ بنا ان مؤرخي القيروان قد وهموا فى تعيين اسم الخليفة والوزير بعكس مؤرخي مصر فقد كشفوا لنا الغطاء عن الحقيقة

ولا بد لنا من الإشارة والتنبيه الى أن تواريخ الدولة الفاطمية الشيعية لم تصل الينا جميعها وما وصل الينا منها كان مبتوراً مشوّهاً والذين عاصروهم من مؤرخي أهل السنة والجماعة أو الذين رافقوا الفتح الصلاحي أو الذين جاءوا من بعدهم من المؤرخين كانوا يقلبون حسناتهم سيئات بسبب ادعائهم الخلافة فى حين ان الخلافة العباسية كانت قائمة فى بغداد . ولذلك وجب على الناقد البصير أن يمعن الفكر وينعم النظر قبل الحكم فى مثل هذه الامور

بيت المقدس عبد الله مخلص

(١) وفيات الاعيان طبعة أميرية سنة ١٢٩٩ ج ٢ ص ١٣٦